

الوحيد وتصعيد الرقابة هو في تصعيد التعبئة الجماهيرية ومصارحتها بالحقيقة وبلورة حدود المعركة السياسية في أذهانها ، كي تفرض برنامجها هي ؟ ان حركة المقاومة بالاضافة الى حركة الجماهير ، وبالذات بعد ان ذاتت طعم النصر ولو لمدة قصيرة ، هي قوة غرض هائلة ، وعندما يراهن الدكتور جورج حبش عليها فانها بالمقابل يرى انها هي الضمان الوحيد لعدم تنازلات الانظمة وانها هي الرقابة الصارمة عليها . ولكم هو محزن ان لا يستطيع كاتب ثوري ان يرى حتى ما استطاعت الانظمة ان تراه من امكانيات الجماهير وحركة المقاومة ، وحذنها منها . فان تلك الانظمة حاولت تطويعها او كما كان يسمى في حينه ( تجنيبها ) . ان الموقف الثوري والصحيح هو في الاستفادة من هذا المارد والكفاف معه الى ابعاد الحدود كي لا يجر برنامج الانظمة على حساب برنامج حركة المقاومة وحركة الجماهير . لان النصر يفترض « انسحابا غير مشروط » ، ولكن مؤتمر جنيف يقوم على القرار رقم ٢٤٢ وهذا القرار هو « لتقسيم انسحاب اسرائيلي من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ وتعديلا في بنوده الخاصة بالمسألة الفلسطينية ، مقابل انهاء المواجهة العسكرية كما هو الموقف العربي الرسمي المعلن ربما ابعد من ذلك [ الكلام لسعيد جواد ] وتحقيق اعترافات عربية وضمانات دولية واشترطات اسرائيلية كما تسمى اسرائيل والولايات المتحدة » ( ص ٤٩ ) و « الابدع من ذلك » الذي يتحدث عنه سعيد جواد والذي يسقطه على سعي اسرائيل والولايات المتحدة هو ليس سعي اسرائيل او امريكا ، بل هو من صلب القرار ٢٤٢ الذي يقوم على اساسه مؤتمر جنيف ان الاعترافات العربية ( باسرائيل ) ليست مرتبطة بحل امريكي — اسرائيلي ، حيث يظهر وكأن افضال التسوية الاسرائيلية — الامريكية والتي يدعو سعيد جواد المقاومة للقيام بها هو عمل لمنع الاعتراف ( باسرائيل ) ، انها محاولة ساذجة للتلاعب بالكلمات ، فالقرار ٢٤٢ ، وشروطه الواضحة منذ صدر في ٢٢ نوفمبر ٦٧ تتضمن اعتراف الدول العربية المعنية باسرائيل . اما ان يلقي المسؤولية على عاتق امريكا ، فهذا حرمان للدول العربية من ( شرف ) الموافقة والتي تتضمن الاعتراف ، والذي لم يكن يوما من الايام مانعا من اتمام التسوية اذ

الذي يعطي المقاومة في جنيف هذه القدرة ، فانه يقتل من التجاهل المطلق للانظمة الوطنية في هذا المؤتمر ، والتي لن « تنازل عن برنامج الحد الادنى » لماذا ؟ لان هذه الانظمة حتى في تراجعاتها تجاه اسرائيل « تنقف عند حدود محرمة وخطرة لم تستطع تجاوزها بفعل الرقابة الجماهيرية العربية الصارمة » ( ص ٥٢ ) . هنا تكمن الانتهازية في الموقف وهنا تكمن المغالطة . عندما يكون الامر خسارة تهون منها وعندما تكون انتصارات نمذجها وحتى نفتعلها ، وليت سعيد جواد نسر لنا السحر الذي حول العلاقة بين الجماهير والانظمة الوطنية من حالة اولى اتسمت فيها هذه العلاقة بأن الانظمة الوطنية هي التي « اوقفت الحرب المحدودة دون تحقيق اهدافها » ( ص ٤٣ ) « وحكمت وتحكمت بمسار الامور » ص ٢٢ ومنعت الجماهير « باصرار من المساهمة في التحضير للحرب » ص ٤٣ تلك الجماهير التي باستعداداتها « العالية للعطاء » ص ٤٣ مضافا لها « برامج الثورة الفلسطينية » التي كانت غير قادرة حتى على « التأثير في حدودها واهدافها » ( اي الحرب ) ، الى صيغة اخرى من العلاقة التي أصبحت فيها الجماهير — في جنيف لها رقابة صارمة تجبر تلك الانظمة على الوقوف عند « حدود محرمة وخطرة » ص ٥٣ . هل هي جنيف التي لها فعل السحر تبديل من طبيعة العلاقة بين الانظمة والجماهير فتصبح تلك الجماهير اكثر قوة فتتزل عند ارادتها لانظمة ؟

ان سعيد جواد بهذه الطريقة المزاجية التي تقاس بها تدرجات حركة المقاومة الفلسطينية . وحركة الجماهير العربية ، خالف المنطق الذي وضعه هو نفسه طريقا للوصول الى القرار الفلسطيني ، حيث طالب طوال مقاله بالمواجهة الجريئة للتحالف الموضوعية والقياس الدقيق للعناصر الفاعلة ، المنظورة وغير المنظورة ، كبيرها وصغيرها ، حتى النواتات منها . ( نواتات « جمع » نواة والتعبير لسعيد جواد ) . ولكن وبالرغم من المزاجية التي تعامل بها وهو يقيس قدرة العناصر الفاعلة ، فبالامكان الاستنتاج من كلامه ان هنالك برنامجين وفهمين للاستفادة من حرب تشرين: برنامج الانظمة والتي لولا الخوف من الرقابة الصارمة لتنازلت . وهنا يطرح هذا التساؤل : اليس ضابط التنازل